

السرديات في النقد المغربي المعاصر الجهود النظرية: كيليطو - العجيمي - مرتاض

د. سليمة لوكام

أستاذ محاضر بـ

المركز الجامعي - سوق أهراس-

تقديم :

يجلو الجوس في مسارب المدونة النقدية السردية المغربية النزعة التي استبدت بكثير من الدارسين المعاصرين المشتغلين في مجال نقد الرواية عموما، وتتمثل هذه النزعة في تبني توجه نقدي جديد نسبيا في مقارنة النصوص الروائية والسردية عرف بالتحليل البنيوي للسرد أو ما اصطلح عليه فيما بعد بالسرديات، وبذلك يخالف هؤلاء الدارسون ما كان ينتهجه من سبقوهم إلى الميدان ذاته.

وقد عثرنا في حدود ما اطلعنا عليه، على كم غير قليل من الكتابات التي تنتزل في مجال السرديات سواء أفصح أصحابها عن ذلك أم أضمره، وتجلت في شكل دراسات وبحوث وأطروحات ومقالات وترجمات، اشتركت في انتظامها وفق توجه واحد، إلا أن التنافر بدا واضحا في منطلقات التبني ودوافعه، وفي أشكال التجلي ودرجاته، ومن ثم فاعليته ونجاعته ومدى الإفادة منه.

كما أن استقرارنا دوافع الدارسين إلى انتحاء هذا النحو من الدراسات مكننا من

تصنيف هؤلاء ضمن ثلاثة أقسام متباينة إلى حد ما:

- يصرح القسم الأول من الدارسين، وهم من الفئة الغالبة كما، باختيارهم هذا المجال المعرفي أو بعض جوانبه معللين ذلك بالكفاءة العلمية التي تحتكم إليها نظرياته، وصرامة الآليات التي أوجدتها مناهجه، ونجاعة الطرائق التي يعول عليها في مقارنة النصوص حيث لا سلطة إلا للآليات الخطابية أو الدلالية الداخلية والعلاقات التي ينشئها الخطاب فيصنع بها عالمه السردية ويحيل عليه في الآن ذاته. وفي مقابل ذلك، رفض هؤلاء المناهج السياقية رفضا قاطعا إذ أنها مارست سلطة فيها كثير من

الاعتساف والتعنّت في ربط الأعمال السردية آليا بسياقات خارجية وجعلتها قطب الرّحى فيها.

- وتحمس القسم الثاني للسرديات فأخذ ببعض آلياتها الإجرائية إلا أنه بدا متحفظا إزاء ما تضعه من تصورات، خشية الوقوع في مزلق المحاكاة الجوفاء أو الاستعارة المتسرعة التي لا تؤمن عواقبها، ولذلك رفض هؤلاء منطق حل أزمة النقد العربي باستيراد منجز غربي دون وعي أو تمثّل.

- ويلج القسم الثالث عالم السرديات على استحياء، مترددا في الإفصاح عن اختياره لها، منكرا عليها بعض مقولاتها، معترضا على بعض مرتكزاتها، لكنه لا يرى غضاضة في الإفادة منها في جانب تطعيم المناهج السياقية التاريخية والاجتماعية بهذا المنجز النقدي أو من جانب رؤية توفيقية تستدعي إقامة صيغة تكاملية في مقاربة النصوص.

وهكذا تؤسس هذه المواقف المتباينة لطبيعة التلقي الذي سيسم التعامل مع السرديات، مثلما ترسم ملامح هذه التجربة النقدية التي تراوحت بين الكتابة التظهيرية التي تسعى إلى تعميم المعرفة النظرية أو تأصيل المنهج وبين الإجراء التطبيقي الذي قارب التراث السردى، وحلل السرد الأدبي المعاصر وخاصة الرواية، فغدا تبعا لذلك تدارس إنجازات هذه التجربة وتفحص معالمها حاجة واقتضاء وضرورة، وليس ترفا فكريا ولا مطية لركوب موجة التمجيد بالإصابة أو تعريض بالإخلال.

الممارسة النظرية

كان انطلاقنا في البدء من فكرة مفادها أنه ليس بوسع الدارس المغاربي وهو يفتح على هذا المجال المعرفي أن يعفي نفسه من مسؤولية التعريف به ونقله من مظهره الغربية منجزا معرفيا نقديا له مرجعياته الفكرية والجمالية، وسياقاته الابستمية الخاصة، ولا أن يصرف نظره عن تقديم قراءة لمقولاته وتناول بالشرح لآلياته، وما

ذلك إلا لإضاءة مجاهل الدراسة التي يعتزم إنجازها حتى لا تتسور بالغموض وتحاط بالتعتيم ، أو لتتوير القارئ المهتم الساعي إلى المعرفة.

ويفضي بنا هذا إلى الكشف عن لبس في مصطلحين قد يثيران من المشكلات عويصها إن هما لم يوضحا منذ البدء، يتصل الأول باستعمال مصطلح التنظير الذي سبق لنا أن قرناه برديف له هو "النقل" الذي قد يحتاج بدوره إلى بعض الشرح والتفسير، ومن هنا تتبغي الإشارة إلى أن ثمة تجوزا في استعمال مصطلح التنظير، وأما المصطلح الثاني فمرتبط بإطلاق صفة الدارس أو الباحث على المشتغل في هذا المجال وإحلالها محل صفة الناقد، ذلك أننا وجدنا، في حدود ما اطلعنا عليه، أن جل الجهود التي أنفقت، وأن أغلب الأعمال التي أنجزت كانت قد أبصرت النور في الجامعة أولا، ففي محاضنها تخلقت، وفي نواديها أثمرت، ومن أبنائها استقطبت مريديها. وقد وقعنا من خلال معاينة المدونة التي نشغل عليها، على ما يعضد الفكرة التي انطلقنا منها إلى حد ما، لكننا لاحظنا أيضا، أن هناك ميلا واضحا إلى الجانب التطبيقي أكثر من الجانب النظري، وعناية بالتحليل فائقة يقابلها انصراف ظاهر عن العرض النظري، وليس من دليل نقيمه على هذا الأمر أقوى من شح العناوين المحيلة على مثل هذا التوجه، وقد رأينا أن نمثل لمرحلة البدايات بكتاب "الأدب والغربة" لـ "عبد الفتاح كيليطو" (المغرب) ولمرحلة التطور بكتاب "في الخطاب السردى" لـ "محمد الناصر العجيمي" (تونس) ولمرحلة الاستواء بكتاب "في نظرية الرواية" لـ "عبد المالك مرتاض" (الجزائر)، ويحسن بنا أن نشير إلى أهمية ما قدمه "سعيد يقطين" في هذا المجال

1- الأدب والغربة: دراسات بنيوية في الأدب العربي" عبد الفتاح كيليطو

نهج عبد الفتاح كيليطو في كتابه "الأدب والغربة منهجا متميزا مختلفا عما ساد في الدراسات الأولى التي ظهرت في الثمانينيات من القرن الماضي والتي تنتزل ضمن هذا التوجه.

فقد أدرج في هذا الكتاب فصلا بعنوان "قواعد السرد" ضمنه رؤيته للسرد بوصفه لعبة جادة لها قواعدها مؤكداً أن "القواعد" التي قصدها لا تكتسب صفة الإلزام وإنما رام من خلالها البحث في طبيعة "العلاقة التي تربط القائم بالسرد بالقواعد من جهة، والعلاقة التي تربط المتلقي للسرد بنفس القواعد من جهة أخرى"2

وقد تبدى من خلال عرضه أن معرفة هذه القواعد قد تكون صريحة أو ضمنية لدى اللاعب أو المتفرج أي لدى القائم بالسرد أو القارئ، وقد عرفت طريقها إلى التناول العلمي مع "بروب" ومن جاءوا بعده و طوروا نموذجهم.

وعلى الرغم من عدم قدرتنا على الجزم بأن كيليطو يقصد السرديات باستعمال مصطلح "قواعد اللعبة" فإننا نرجح ذلك استناداً إلى معطين، يتمثل الأول في وجود عبارة "التناول العلمي لقواعد السرد"، وهذا يدل دلالة قطعية على أنه يدرك أن ما ظهر في كتابات أفلاطون وهنري جيمس من محاولات، وما تأسس عليه عمل بروب قد أخذ صفة العلم حينما أصبح الموضوع المدروس هو السرد، فهو يقول: "لكن الباحثين الذين جاءوا بعده [بروب] تبين لهم أن النموذج المقترح، يمكن أن يغطي أنواعاً أخرى، فأخذوا في تحويله وتعميمه بحيث صار موضوع البحث هو السرد بصفة عامة وليس هذا النوع السردى أو ذاك، أي أخذ الاهتمام ينصب على قواعد اللعبة في حد ذاتها، وهذا ما نلاحظه إذا اقتصرنا على الميدان الفرنسي عند غريماس ورولان بارت وتلامذتهما"3.

فإذا كان موضوع البحث هو السرد" بغض النظر عن تجليه في نوع معين، وكان الباحثون فيه بارت وجريماس وتلامذتهما فلا شك أن الأمر متعلق بالسرديات.

ويتكرس المعطى الثاني في تناول العلاقة التي تصل كلا من القائم بالسرد ومتلقي السرد "بقواعد السرد"، وتعد هذه العلاقة من ضمن ما قامت عليه السرديات بوصفها تبحث في جانب:

من يروي أو من يسرد؟ (السارد ومن يروي له أو من يسرد له؟) (المسرود له).

ينتصب السؤال النقدي الأولي: أو لم يكن كيليطو قادرا على ترجمة مصطلح narratologie بمصطلح "سرديات" أو أي مصطلح آخر يراه مناسباً، أو على الأقل بسط مقولاتها من الزاوية التي يريد؟ أو ليس في إدراجه لأسماء رواد السرديات في المدرسة الفرنسية (بارت، بريمون، جينيت، جريماس، تودوروف) إشارة ولو ضمنية إلى تبينه طريقتهم في النظر إلى السرد وقواعده؟

إنه من اليسير أن نجيب ببلى ونضع حداً للسؤال، ولكن تقليب الأمر على وجوهه، أغرانا بالبحث في علة هذا الإضمار، وسبب ذاك السكوت، فقواعد السرد تتأسس أولاً على وجود حكاية بالمعنى الكامل والدقيق، أي "مجموعة من الأحداث" (أو من الأفعال السردية) تتوق إلى نهاية، أي أنها موجهة نحو غاية (-)، وهذه الأفعال السردية تنتظم في إطار "سلاسل" تكثر أو تقل حسب طول أو قصر الحكاية كل سلسلة (séquence) يشد أفعالها رباط زمني ومنطقي.⁴

ومن تعريف الحكاية ولد كيليطو الأساس الثاني الذي شدد فيه على ضرورة تحري الدقة والحذر في التعامل معه، والمسؤولية فيه تعود إلى القائم بالسرد الذي يجد نفسه، في كل نقطة من الحكاية أمام اختيارات تتجسد في إمكانيات سردية جد كثيرة، ولكي تتابع الحكاية طريقها، عليه في كل لحظة أن ينقل إحدى الامكانيات من القوة إلى الفعل، وهذا يقتضي إهمال الإمكانيات الأخرى.⁵

وفي هذا الموضع يحيل كيليطو في الهامش على كل من بريمون وجينيت، ليخلص إلى الحديث عن "قواعد السرد" وقد جعلها ثلاثاً:

1- تعلق السابق باللاحق، وقصد بذلك أن النهاية في الحكاية "تتحكم في كل ما يسبقها، وأن حرية القائم بالسرد لا تتجلى إلا في اختيار النهاية."⁶

وهنا يميز كيليطو بين قراءتين للحكاية إحداها "عادية" من اليمين إلى اليسار، ومن البداية إلى النهاية فهي "تشد بخناق القارئ... فيفقد انضباطه وتحكمه في نفسه"⁷،

والأخرى "عالمية" تتم من النهاية إلى البداية و"تجعلنا نلمس البناء السردى عن كثب، بل تجعلنا نعيد صياغة الحكاية بعد تفكيك مكوناتها".⁸

نعين بوضوح انتصار الناقد للقراءة "العالمية" التي لا تعدو أن تكون ملمحا من ملامح "السرديات"، فهي تبتعد بالقارئ عن التأثير العاطفي الآني، وتجنبه الوقوع في مزلق الوهم، إنها "قراءة" ترفعه إلى مرتبة تجعله يشارك هذه المرة لا الشخصيات، بل القائم بالسرد نفسه.⁹

2- ارتباط تسلسل الأحداث بنوع الحكاية وتعود المسؤولية فيه أيضا إلى القائم بالسرد الذي ينبغي عليه أن يلتزم التسلسل الذي تفرضه أنواع معينة من الحكايات، وفي هذا الجانب نفى كيليطو منحازا إلى طرح بروب ومن سلك مسلكه في ثبات الأفعال السردية في تسلسلها للوصول إلى النهاية المتكررة.

3- العرف والعادة: ترتبط هذه القاعدة بالقارئ الذي ينبغي أن يحترم أفق توقعه، وعلى القائم بالسرد أن يوجه سرده وفق ما يعتقده القارئ الذي يستطيع أن يتكيف مع ما يتناقض مع العرف الذي يعتقده شرط أن يدرج من قبل القائم بالسرد في اللعبة النوعية، وهذا يعني أن "تسلسل الأفعال السردية رهن باعتقادات القارئ حول مجرى الأمور، فالقائم بالسرد ملزم باحترام هذه الاعتقادات إلى حد أنه يمكن أن يقال إن القا ثم بالسرد الفعلي هو القارئ".¹⁰

ونستصفي من هذا العرض أن كيليطو، وهو يمارس فعل الكتابة النقدية التنظيرية للسرد، قد تغذى دون شك من فكر نقدي غربي وتشرب مقولاته التحليلية في مقاربة "السرد" بأنواعه المتعددة والمختلفة، فبدا دقيقا في الإحاطة بالمفاهيم ونحت المصطلحات، حريصا على ألا يكون عمله نقلا أمينا ولا مشوها لما أنجزه الغربيون في هذا المجال، ساعيا إلى التأسيس والتأصيل دون تردد ولا وجل.

وهكذا استمد كيليطو نسغ فعله التنظيري من جهود رواد السرديات من الشكلايين إلى البنيويين الفرنسيين لكنه لم يشأ أن يبتلع دون مضغ فيغص أو يصاب بالعسر،

ولم يشرع أبوابا فتجرفه الريح بل فتح كوى بمقدار ما يحتاج من الهواء، وفي الآن ذاته ما يبقيه ثابتا على الأرضية التي ينتصب عليها.

لم يكن هاجس كيليطو أن يحدد أي المناهج يختار، وأيها أكثر ملائمة، ولم يكن همه استعراض معرفة تمثلها ووعاها مفهوما واصطلاحيا، وإنما هو قلق مثقف ناقد ظل إحياء موروثة السردية المهمش غايته، وقراءة متونة وتحليلها مسلكه، وتفكيك أنساقه ورصد خصوصيتها مسعاها.

وأيا كان الشأن، فإن استعمال كيليطو مصطلح "قواعد السرد" وإغفاله استعمال مصطلح "سرديات" كان ناتجا عن خيار منهجي خاص وموقف نقدي واع، ذلك أنه لم يلتزم مقولات السرديات بتفريعاتها، ولم يتبع آلياتها بأمانة وحرفية، وإنما استخلص منها جملة من القواعد التي رآها صالحة أو متلائمة مع الحكاية في سياقها العربي العام والتراثي بوجه خاص، ثم إن حصر هذه القواعد في: المنطق الذي يحكم الحكاية والنوع الذي يحتويها والعرف الذي يقيمه فيها السارد "القائم" بالقارئ يدل على توجه خاص في مقاربة السرد العربي التراثي الذي استأثر باهتمام كيليطو تحليلا وتأويلا واستنطاقا للسياقات المعرفية والثقافية والتاريخية التي أنتجتة وحضنته، والدراسات التطبيقية اللاحقة التي أنجزها تعضد هذا الطرح.

ولئن أثار غياب مصطلح "السرديات" وحضور بعض أبعادها المفهومية العديد من التساؤلات التي جرت افتراضات متباينة، فإن حضور مصطلحات مثل: "الحكاية"، و"القائم بالسرد"، و"السلسلة" و"الفعل السردية"، تحليلنا على البحث في الرؤية التي وجهت هذا الاختيار الاصطلاحي، فالحكاية عند كيليطو: "مجموعة من الأحداث ترتبط فيما بينها زمنيا ومنطقيا، وهذا ما يعادل مفهوم القصة (l'histoire) لدى المشتغلين في هذا المجال حيث يكاد يحصل الإجماع بينهم في هذا الشأن، ولا نخال كيليطو غافلا عن هذا، ومن ثم يبدو أنه قصد إلى استعمال مصطلح حكاية في محاولة تأسيسية بحكم انتماء هذا المصطلح إلى الذاكرة السردية العربية الرسمية*

من جهة، وانخراطه في السياقات الثقافية المميزة للتراث السردى العربى من جهة أخرى.

ومما تجدر ملاحظته في هذا الموضوع أن كيليطو:

- يستعمل مصطلح "حكاية" للدلالة على مفهوم القصة بوصفها المستوى التجريدي، أي المدلول السردى للمحكى، في مقابل المستوى الفعلي اللغوي المتحقق خطابا، وفي الآن ذاته تكون القصة محكيا، أي نوعا سرديا عاما مثل "حكايات" ألف ليلة وليلة"، وحكايات "كليلة ودمنة" وغيرها من الأنواع السردية التي عرفها العرب في عصور سابقة.

- يخالف كيليطو الدارسين العرب في توظيفهم مصطلح "السارد" أو "الراوي" بانصرافه إلى مصطلح مركب هو "القائم بالسرد" لتعيين فاعل السرد، ولئن كنا نرجح ترجيحاً لا يقينا عزوف هذا الناقد عن مصطلح "الراوي" ** إلى الحمولة الثقافية التراثية والموصولة بنقل الأحاديث النبوية والأخبار المحيلة ضمناً على وجود واقعي لهذه الشخصية وفعلها، فإن في استبعاد مصطلح السارد والاستعاضة عنه بمصطلح "القائم بالسرد" ما يدعو إلى التساؤل.

إن مصطلح السارد يدل على من يقوم بفعل السرد، وهو في السرديات كائن متخيل يضطلع بوظائف عديدة أهمها السرد بحكم وجوده في مقام سردي أحله الكاتب الواقعي فيه، فقام مقامه، ومن هنا يكون استعمال "القائم بالسرد" أقرب إلى مفهوم سياق الدرس السردى الحديث منه إلى سياقات أخرى.

وعلى هذا النحو جنح كيليطو إلى استخدام مصطلح الفعل السردى مقابلاً للوظيفة "la fonction" كما وردت عند بروب وتلاميذه من البنيويين أمثال "بارت" و"بريمون" و"جريماس"، وقد مر بنا إيراد هذا المصطلح في تعريف الحكاية بأنها "مجموعة من الأحداث أو من الأفعال السردية... تنتظم في إطار سلاسل (sequence)" 11، وهو بهذا يتلقاها في سياق مفهومي معزول عن حرفية المصطلح،

والمثال الذي يسوقه توضيحا لذلك يؤكد هذا المعنى، فقولُه: "فمثلا الذهاب إلى نزهة يتبعه رجوع إلى البيت." 12 يكشف عن تحديد إطار التعامل مع أحداث *des faits* أو أفعال *des actes* أو أعمال *des actions* مما يجر إلى الفهم بأن الرؤية الشمولية التي أشرنا إليها سابقا هي ذاتها التي تحكم توجهه في هذا الموضع، فالوظيفة بالحكايات العجبية أعلق، وبالقصاص الشعبية ألصق، حيث تقوم الشخصيات بوظائف معينة، بل إنها تكتسب صفاتها من الوظائف التي تضطلع بها، وأما الفعل فذو طابع إنساني شمولي عام لا يقتصر على مهمة بعينها، ولا يختزل في وظيفة محددة. ونخلص إلى القول: إن كيليطو قد عمد في "الأدب والغرابة" إلى شحن رؤيته بدلالات الوعي والتمثل، فتجاوز مجرد امتلاك المعرفة إلى مستوى أعلى وأعمق وهو الثقافة وذلك بالإقامة الفاحصة داخل الجهاز المفهومي الذي أوجد تلك المعرفة، دون ارتهان لمرجعياتها أو انصياع حرفي لمقولاتها.

- "في الخطاب السردى" - نظرية قريماس - Greimas: محمد الناصر العجمي 13
تتضوي دراسة العجمي تحت مظلة الجهود البحثية التي تسعى إلى التعريف بالسرديات وتقديم بعض اتجاهاتها وتفرعاتها، فقد رأى هذا الباحث أن يتناول "نظرية جريماس" في السرد بالبحث والقراءة والعرض والشرح رغم التعقيد والإشكال اللذين يلفانها؛ والصعوبات التي تكتنفها والمتأتية حسب رأي الباحث من توزيع جهود جريماس على "مجموعة هامة من الدراسات المنشورة في مؤلفات مستقلة أو ضمن مجلات مختصة، وهي علاوة على هذا، على حظ وافر من الثراء والنفاد بحيث تتطلب مجهودا مضنيا لتعرفها وفك رموزها" 14 من جهة، وإلى الوفرة الكبيرة في المصطلحات التي لا تدل على حذقة علمية بقدر ما تدل على صرامة المنهج المتبع، من جهة أخرى.

غير أن ما ينبغي الاحتراز منه في تعداد الباحث ما استصعبه في عمله، ما ذكره من عدم اشتغال الدارسين العرب بهذه النظرية، مما ولد لديه إحساسا بوطء أرض بكر

في ظل ندرة واضحة لبحوث تنتظم وفق هذا المسار، وهذا الأمر مردود لوجود أعمال سابقة علقت على نظرية جريماس نظرية وتطبيقا.***

ولئن كانت نظرية جريماس محفوفة ببعض الغموض، فقد وجد العجيمي في أعمال بعض رفقاء هذا المنظر في مدرسة باريس السيميائية أمثال "كوكي" و"راستيه" و"هينو" و"كورتيس" ما يجلو ذلك الغموض، ويميط اللثام عن العديد من القضايا المستغلفة بتوضيحها وتبسيطها ورفع اللبس عنها، فيتيسر بذلك تشميرها على النحو الذي أراده العجيمي الذي أفصح عن سبب إيلاء هذه النظرية عنايته بقوله: «إن أهم سبب حدا بنا إلى تقديم نظرية جريماس الموسومة بالأنموذج العالمي مرده إلى ما حظيت به من انتشار واسع في الغرب لما تتميز به من قدرة على تفجير الموضوع المدروس ووصف آلية توليد المعنى»¹⁵ وما يلفت الانتباه فيما ذكره الدارس هو:

- عزل "نظرية جريماس" عن السياقات التي انخرطت فيها، وقطعها عن المرجعيات التي اتكأت عليها، فهو لم ينزلها ضمن السرديات، ولم ينسبها إلى "سيمياء السرد"، وإنما عرج بها على مبحث علم الدلالة الذي حف استعماله إياه بكثير من التداخل والغموض، هذا فضلا عن اختزال النظرية في النموذج العالمي.

ففي مفتح الكتاب وهو بعنوان "مشكلة الدراسة"¹⁶ يترجم الدارس عنوان كتاب "جريماس *sémantique structurale*" بالبنوية الدالية¹⁷ ويقابل مصطلح "*sémiotique narrative*" بالدلالة السردية¹⁸ ثم في موضع ثالث يجعل "الدلالة السردية"¹⁹ مقابلا آخر لـ *sémantique narrative*.

- اختزاله دوافع عكوفه على هذه النظرية وقصره للأسباب الحادية به إلى تقديمها في "الصدى الذي أحدثته في الغرب بقدرتها على تفجير الموضوع المدروس". وليس في حاجتنا إلى التجديد والإفادة، ولا يخفى ما في هذا الرأي من إغفال لمدى القابلية

التي يبديها "الموضوع المدروس" عندنا لمثل هذا الضرب من المناهج والإجراءات، ومن تعتيم عن الأطر الابستمية والثقافية التي أنتجت هذه النظرية وما يثير الاستغراب أن العجيمي يعترض على مثل هذا الطرح بقوله: «إننا ندرك تماما ما يواجه الإقبال على النظريات الحديثة من اعتراض بدعوى أننا نمتح من معين غير معيننا ونجهد في احتذاء إنجازات الغير المستحدثة - ولسنا ندرك السبب في أن هذا الضرب من النقد لا يوجه إلى طالبي صنوف المعرفة الأخرى لمجرد المحاكاة والتقليد.»²⁰

إن ما يستشف من هذا القول جدير بالمساءلة قصد التثبت، فالحديث عن الاعتراض على هذه النظريات لم يعد له ما يبرره بعد أن صارت أغلب المناهج النقدية الغربية الحديثة إلى رسوخ في النقد العربي، ثم إن هذا الكم الهائل من الدراسات التي تسلك هذا المسلك قد جعل هذه الأصوات لا تكاد تسمع وإن أصحنا.

وأما الخوض فيما هو موصول بنقد "طالبي صنوف المعرفة الأخرى" فمسألة فيها نظر، لأن تحديد المجال المعرفي وتعيين طبيعة الصلات التي يشيدها مع العلوم الإنسانية أو التجريبية هو الذي يضبط الزاوية التي ينطلق منها النقد، فما تنثيره الفلسفة من أسئلة في مجال التلقي يتباين مع ما يحيط بعلم التاريخ، كما أن تلقي علوم الطب والهندسة وغيرهما من العلوم التجريبية لا يمكن أن يتقاطع إلا في القليل مع تلقي علم الاجتماع واللسانيات، وما شابههما من العلوم الإنسانية.

- إن الغاية التي سعى جريماس إلى تحقيقها - فيما نعلم - ليست "تفجير النص المدروس ووصف آلية توليد المعنى فحسب، وإنما التوصل إلى معرفة الآليات المتحركة في إنتاج المعنى الإنساني عموما، ومعرفة المبادئ المنظمة للخطابات السردية، للتوصل إلى إقامة نموذج تعميمي للبنيات الحكائية بوجه خاص.

رأى العجمي أن يقدم "نظرية جريماس" باتباع طريقة تقوم على بسط مشكلة الدراسة، ثم التعريف بعلم الدلالة ليوقف عند المستويين السطحي والعميق، ليخلص بعد ذلك إلى خاتمة يعقبها فصل تطبيقي موجز نسبيا.

وقد طالعنا فيما ختم به "مشكلية الدراسة" بعرض حدد فيه الأسس التي يبنى عليها عمله، والسبل التي سيسلكها من توخ للوضوح، والتزام بالأمانة العلمية، وتوفيق قدر الإمكان بين متطلبات الغاية التعليمية النازعة نحو التبسيط ومقتضيات البحث العلمي من دقة وصرامة.

وما يحسن الوقوف عنده في هذا الموضوع، هو إشارته إلى عدم اكتمال هذه النظرية استنادا إلى تصريح صاحبها أو بعض أتباعه بأن جانبا من الجوانب في حاجة إلى تعديل أو تعميق²¹ أولم يكف ذلك النجاح الذي وصلت إليه النظرية في الغرب -حسب ما نوه به- والمكتسبات التي حققتها لأن يمنحها مشروعية الوجود والانتصاب نظرية جديرة بالتقديم، ومؤهلة لأن تحتذى على الأقل فيما "حصل بشأنه إجماع أو شبه إجماع".²²

وهنا يستوقفنا سؤال منهجي كبير، كيف تأتي للعجمي أن يقصر النظرية على جريماس وحده دون غيره من رفقاءه وأتباعه، خصوصا أننا وقعنا في بعض المواضيع على ما يفيد وجود منظرين لما يسميه "منهجا"، فهو في معرض إبانته عن الخطوات التي اعتمدها، والتي أشرنا إليها سابقا يصرح: «إننا ننطلق من الأقل تشعبا وإثارة للقضايا إلى الأكثر إشكالية الأوغل مدى في التجريد، وأخذا بهذا المبدأ آثرنا - خلافا لبعض المنظرين للمنهج المعني ببحثنا- إدراج الدراسة المتصلة بالمستوى العميق في القسم الأخير من البحث لما يثيره موضوع البنية الدلالية العميقة من قضايا بعضها موصول بالمنطق».²³

ويحيل هذا الأمر على طرح سؤال تتفرع عنه العديد من الأسئلة: هل يتعلق الأمر بمنهج **** أم بنظرية؟ وبناء عليه كيف سيكون تعامل الدارس؟ هل سيركز على

مجموعة الآليات الإجرائية التحليلية التي تجسم الفرضيات النظرية؟ أم ينعطف إلى تفصيل القول في الافتراضات والأطروحات؟
لعله من المفيد والمنهجي أن نرجئ الإجابة إلى حين استقراءنا لما ورد في متن العمل.

كان من أؤكد ما اشتغل به العجيمي القسم الثاني من دراسته هو وضع "علم الدلالة" في إطاره المعرفي. وقد أقر في صدر القسم بصعوبة الإلمام به، و بجوانبه المتعددة، وتفرعاته المتشعبة، لكن ما يثير الانتباه حقا هو المطابقة التي عقدها الدارس في الهامش بين مصطلح "علم الدلالة" ومصطلح "العلامية"، هذا الأخير الذي يقابل المصطلح الغربي sémiologie أو sémiotique حيث يقول: « يطلق على العلم نفسه [ويقصد علم الدلالة هنا] تسمية العلامية ترجمة للمصطلح الغربي sémiologie أو sémiotique، والاختلاف في المصطلح لم يكن في بداية نشأة العلم المعني بريئا يعود إلى أسباب تخص مجال الدراسة الدلالية وحدودها.»²⁴

يكشف هذا التداخل الاصطلاحي بين مصطلح علم الدلالة أو الدلالات sémantique ومصطلح السيميائية أو السيميولوجيا أو العلامية عن عدم تثبيت، و تسرع في احتواء المصطلح، نجم عنهما غموض في الفهم وتشتت في التمثل.

يورد جريماس***** و كورتيس في المعجم المعقلن تعريفا مطولا للدلالات sémantique يضعها في إطارها المعرفي ويرصد مراحل تطورها منذ القرن التاسع عشر إلى الوقت الراهن، و يعدد أضربيها والتفريعات التي آلت إليها نقطف منه ما يلي: «الدلالات (علم الدلالة) مكون من مكونات نظرية الكلام (أو النحو) ... ولا نستطيع أن ننكر المرحلة الحاسمة التي شكلتها الدلالات البنيوية: لقد صير المكسب المنهجي الذي حققه قيام تفكير جديد في نظرية للتدلال ممكنا signification، كمافتح الطريق أمام السيميائية ..»²⁵

ويبدو أنه من نافلة القول الإلماح إلى ما للداليات من صلات بالسيمائية، أظهرها تخلفها في محاضن مقاربة أو مشتركة، غير أن الاستعمال الملتبس للمصطلح لدى العجمي أحاط الدراسة بوضابية في كثير من المواضع التي يستعصي علينا التمييز فيها بين ما هو "دلالي" وما هو "سيمائي"، ومن ثم يستحيل علينا الفهم، وتنتعق حيرتنا حين تغيب الإحالات على المراجع التي يمكن أن تسعنا إذا ما عدنا إليها للتحقق من دلالة المصطلح، ومن الأمثلة التي نسوقها تأكيدا لهذا الواقع قوله: «وجماع القول أن نظرية قريماس تستمد أصولها المعرفية من الدالية التي تهتم في المقام الأول باستقراء الدلالة انطلاقا من الظروف الحافة بإنتاجها، ووسيلتها في ذلك تفجير الخطاب وتفكيك الوحدات المكونة له ثم إعادة بنائها وفق جهاز نظري منسق التأليف».²⁶

ولسنا ندري ههنا ماذا يقصد بالدالية؟ la sémiologie أم la sémantique أم la sémiotique، خاصة أنه يعود في الصفحة التي تلي للإشارة إلى أن "أهم ما تتبني عليه الدراسة الدالية أنها "إنية" أي أنها تلتزم النص وتنفيد به، ذلك أن الغاية المستهدفة في الدراسة هي - كما ألمعنا - إبراز آلية النص في خلق المعنى وتبليغ صده" ²⁷ كما أنه يستعمل في موضع آخر مصطلح "القطب السيمانتيكي" ²⁸ مقابل لمصطلح isotopie sémantique بوصفه ضربا من ضروب الأقطاب الدالية.

إن التدبر في ما أدرجه العجمي يسلمنا إلى القول: إن ثمة تداخلا اصطلاحيا يصل حد التناظر، وسينعكس بلاريب على ما يهم ببسطه وتقديمه لاحقا في القسمين الثالث والرابع وقد رسمه على التوالي بالمستوى السطحي والمستوى العميق.

تقتضي دراسة المستوى السطحي، حسبما ذهب إليه الدارس تناول المكونين السردى والتصويرى بالبحث والتقصي، فضمن المكون السردى le composant narratif يقدم العجمي السردية كما حدها جريماس ومنها يمضي وفق المنحنى ذاته بالخطاب السردى، بما هو مشروع منظم وفق الغايات القصوى المقصود بلوغها

ويتميز الخطاب السردى بأنه "يقدم في سطحه عددا من الكائنات الحية وغير الحية مكسبا إياها تدريجيا جملة من المقومات"²⁹ ليصل إلى الأنموذج العاملي كما يسميه فيعرفه بقوله: « نظام خاضع لعلاقات قارة بين العوامل ومن حيث هو صيرورة قائمة على تحولات متتالية، ذلك أن السرد ينبني على التراوح بين الاستقرار والحركة والثبات والتحول في آن واحد.³⁰

يبدو أن العجيمي قد أولى عناية في هذا الموضع للتعريف بمفردات ما أراد الوقوف عنده، وقد استقام له ذلك، لولا أن التعثر في الاصطلاحات قد غطى على جانب من هذه الاستقامة، فهو تارة يسميه الأنموذج العاملي وتارة أخرى "النظام العاملي"³¹ كما نجده يقدر من الفعل "أتى" اسم فاعل "مؤتى"، واسم مفعول "مؤتى إليه" ليقابل بهما مصطلحي *destinateur* و *destinataire* دون أن يهتم بتقديم التسويغ اللغوي، باعتبار أن شبه إجماع كان قد انعقد بهذا الشأن باستعمال مصطلحي "مرسل" و "مرسل إليه"، وقد شاعا كثيرا في الدراسات التي سبقت في هذا المجال، لاسيما وأن العجيمي كان قد أحال على كتاب "مدخل إلى نظرية القصة" لتأكيد بعض كلامه دونما إشارة إلى الاختلاف الحاصل في استعمال المصطلحات، و يمكن التمثيل لذلك من قوله: «إشارة سمير المرزوقي إلى أن العقد الجامع بين المؤتى والمؤتى إليه في الآثار المنتمية...»³²

هذا فضلا عن اشتراك أغلب المعاجم ***** التي سبقت هذه الدراسة في تبني هذا الاصطلاح، فلسنا ندري إذن ما الدافع الذي حدا بالدارس إلى مخالفة ما شاع من المصطلحات، ودرج على استعماله، وإذا كان هذا تعامله مع ما استقر بشأنه الأمر على هذا النحو، فلا حاجة بنا إلى إثارة الحديث عن مصطلحات الفاعل *sujet* والإني *l'immanent* والمفارق السامي *trancendant* والمعين *l'instance* وغيرها من المصطلحات ***** التي لا زال بعض التباين واردا فيها.

وفي مقابل التعثر الاصطلاحي، أظهر العجيمي وعيا واضحا بمنهج جريماس في التحليل سواء فيما تعلق بالنموذج العاملي، أو بالمسار السردى ومكيفاته، وتمكنا لا ينازع تبدى أكثر في الخلاصة التي انتهى إليها من دراسة المكون السردى حيث عمد إلى تبيين أهمية النموذج العاملي، واقتراح تحديد المصطلح فيما هو موصول بالمشروع السردى الرئيسى والمشروع السردى الثانوى، وهو يقصد هنا les programmes narratifs ولكنه أوقعنا في بعض الإرباك حينما حاول أن يظهر الفرق بين الخطاب السردى والسردية، فبينما "يدل الخطاب السردى على النص المقروء في حقيقته المادية، ومن حيث هو نص مكتوب بلغة معينة، وتستغرق قراءته وقتا معلوما، كما تخضع لترتيب زمانى خطي"³³ وهي دلالة، كما نرى، تفتقر إلى الإحاطة بجوانب أخرى للخطاب السردى، تدل السردية على «ضرب معين من القراءة وطريقة خاصة في وصف المادة وتنظيمها أي إعادة كتابتها انطلاقا من فرضية مؤداها أن المعنى ليس معطى قريبا، إنما يستخلص من فنون التألف والاختلاف والتقابل القائمة بين الوحدات التركيبية العاملة والتحويلات المتتابعة في المحور السياقي».³⁴

ولا يخفى على الدارس المطلع ما في هذا التعريف من لبس نتيجة استعمال مصطلح بداليتين مختلفتين للسردية، فهي عند السيميائيين، وفي المعجم المعقلن تحديدا خصيصة معطاة تميز نوعا معينا من الخطابات، ويمكن انطلاقا من هذه الخصيصة تحديد الخطابات السردية من الخطابات غير السردية.³⁵

والسردية أيضا عند جريماس مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمادة السردية، ولذلك فهي عنده سابقة عن التجلي في أي خطاب، وتتميز بصفة الثبات، إنها السردية المقابلة لـ *narrativité* وقد وردت لدى الدارس على هذا النحو³⁶، وأما "السردية" التي توصل إليها فقريبة مما حدا بها من السرديات *narratologie*، وقد سبق أن أشرنا إلى استعماله لها بهذا المعنى.³⁷

وكأنني بالدارس يفصل بين مجالين لدراسة السرد، يهتم الأول بالخطاب السردى بوصفه تمثيلا سرديا، وتجليا ماديا ولغويا، ولهذا يعمد إلى إقصائه من مجال السرديات التي تسلك مسلكا خاصا في "وصف المادة وتنظيمها" وبناء على هذا الطرح يكون قد قلب ما ذهب إليه جينيت في تصنيفه لمجالي السرديات. أما في القسم المخصص للمكون التصويري، فلم يكلف الدارس نفسه عناء إعطائنا المصطلح المقابل له عند جريماس كما فعل مع المكون السردى، ولا حتى إحاطتنا بما يعنيه فرجحنا أن يكون مقصده من استعمال المكون التصويري مقابلا لمصطلح *composant figuratif* استنادا إلى عدة قرائن، مثل شرحه لبعض المفاهيم واستعماله لمصطلح "صورى" في أكثر من موضع مقابلا لمصطلح *figuratif* لكننا سرعان ما تراجعنا عن ذلك لما أدركنا مدى الخلط الحاصل بين ما يقصده من تصويري وخطابي، فهو يترجم عن جريماس قوله:

« un acteur est ainsi le lieu de rencontre et de conjonction »
des structures narratives et des structures discursives, de la
composante grammaticale et de la composante
semantique, parce qu'il est chargé à la fois d'au moins un
rôle actanciel, et d'au moins un rôle thématique qui
précisent sa «compétence et les limites de son faire où de
38son être

بهذا المقطع: " يبدو أنه - أي القائم بفعل - موطن لقاء وتقاطع بين البنى السردية والبنى التصويرية لأنه محمل في الآن ذاته بما لا يقل عن دور غرضي ودور عاملي، وهذا وذاك يحددان منه كفاءته وحدود فعله وكيانه. "39

وقد آثرنا أن ندرج النص الأصلي لجريماس لتضمنه للعديد من القضايا المفهومية والاصطلاحية الملتبسة لدى العجيمي، فضلا عن دلالاته على الإخلال بمبدأ الأمانة في الترجمة.

ويتجلى الالتباس المفهومي في المطابقة بين العامل actant والممثل acteur وقد وسم هذا الأخير بالقائم بالفعل، وفي المطابقة أيضا بين البنى التصويرية والبنى الخطابية، وقد نجم عن هذا اللبس الاصطلاحي إحداث خلخلة مفهومية، يضاف إليها استعمال مصطلح "غرضي" مقابلا لمصطلح thématique، وما يمكن أن يستفاد من هذا النص من دلالات ترتبط بالهدف والمسعى أكثر من أي دلالة أخرى.

أما على مستوى الترجمة، فمن البين أن العجيمي لم يعر جانب الجمال فيها اهتماما، ولم يلتزم نقل ما يترجم كاملا غير منقوص.

بقي أن نقف عند المستوى العميق الذي وصفه العجيمي «بالبنى التحتية العميقة المتحركة في البنية السطحية والمولدة لها»⁴⁰ والذي لم يخصص له مع ذلك إلا صفحات معدودة من الكتاب، عرف فيها بالمعنى seme تمييزا له عن اللفظ lexème فالأول وحدة دلالة صغرى تكتسب وجودها في الشبكة العلائقية التي تقيمها مع الوحدات الدلالية الأخرى كالتقابل والاختلاف، أما الثاني فيمكن أن يحد بكونه الدال أو الصورة الدالة التي تنطوي على متصور يحيل على دلالات حافة متعددة بتعدد السياقات.

كما تعرض بالشرح الموجز للمربع [الدلالي] وأشار إلى وجود تسمية أخرى له وهي المثال التأليفي modèle constitutionnel⁴¹ محاولا إبراز العلاقات التي تنتظمه مكتفيا برصد مرتكزاته حتى كدنا أن نسلم هذا القسم بالتسرع والاختزال المخل، لولا أن الدارس حرص على تجلية الأمر حين برره وفسره في الخاتمة بأمرين: أولهما الاستجابة للالتزام منهج تعليمي في البسط والتحليل مما اضطره إلى إهمال مسائل هامة مازالت محل بحث وإثارة للجدل.⁴² وثانيهما تصريحه بأن دراسته: "تستهدف -أساسا- التعريف بالخطوط الكبرى لنظرية تستمد أصولها من علم هو علم الدلالة⁴³ وهكذا أفضى بنا البحث عن ملامح تلقي نظرية جريماس في دراسة العجيمي إلى الوقوف على جملة من القضايا التي تعد من أعقد ما يطرح في هذا السياق مثل:

- الوعي بالنظرية أو المنهج وعيا كاملا، والإحاطة بسياقه المعرفي إحاطة لا يتسرب معها اللبس والتداخل، وآية ذلك ما طالعنا به الدارس في مطابقته ما بين السيميائية والدلالات، وما بين السردية والسرديات.

- الإخلال بمبدأ الوضوح والانسجام في التقديم النظري هو أمر ناجم في أغلب الأحيان عن عدم تمثّل، وغالبا ما يبرر إما بتجنب الخوض في التفاصيل الجانبية الموهلة في التعقيد، وإما بتحري التبسيط الهادف إلى التعليم والتعميم.
Lavulgarisation.

- السعي إلى قد مصطلحات يعول فيها على الرؤية والجهود الشخصيين، وعدم إيلاء كبير اهتمام لما شاع استعماله، أو لما استقر بشأنه إجماع بين جمهور الدارسين، فانجر عن ذلك بعض التداخل، والتتافر، والخلط. ويعضد ما استصفيناه تصريح الدارس بهذا في قوله: « واجهنا القدر الكبير من المصطلحات بمجهود فردي أساسا، وإن استعنا في حالات نادرة بما عرضه علينا بعض الزملاء من ترجمات لذا نقر بأن عددا من المصطلحات المترجمة يحتاج إلى إعادة نظر وتعديل. » 44

- مجافاة مبدأ الأمانة المتعلقة بالجهود الترجمي، وقد وقعنا في هذه الدراسة على ضروب من ذلك متعددة وواضحة، ولعل أظهرها ما أدرجناه في ثنايا هذه القراءة. ومثّل هذا المسلك كفيل بأن يسور الدراسة بالغموض، والتعقيد، والاستعصاء، ويضاف إلى هذا كله تحيز واضح، وإن اكتسى رداء الموضوعية العلمية، شف عن حكم مشحون بدفقة إعجاب تمجها مقتضيات الصرامة العلمية، وباطلائية تجافي متطلبات البحث، وقد أفصح عن ذلك الحكم حين قال: « ولو لم يكن للدلالة إلا مزية إعادة الاعتبار للنصوص، وتجديد نظرتنا إليها، بإزاحة ما علق بها من ركام هائل من التأويلات التي انتهت في أحيان كثيرة إلى تعويض النص الأصلي النص الفعل، لاستحققت أن تحظى بالاهتمام. » 45

وآخر ما ننتهي إليه، أن دراسة العجيمي المقدمة والشارحة لنظرية "جريماس" قد تكون كفيلة بأن تسد ثغرة في الدراسات العربية، وجديرة بأن تنتظم ضمن الأعمال القليلة التي أولت عناية للجانب النظري، فاهتمت بتقديم النظرية وعرضها دون أن تجعلها مطية لبيان فاعلية الإجراء، ومؤهلة لأن تكون مرجعا تعليميا يعود إليه الدارسون بغرض الإفادة لولا تلك الكبوات الآيلة إلى زوال بفعل الجهود المتواصلة في هذا الدرب.

- في نظرية الرواية "بحث في تقنيات السرد": لعبد الملك مرتاض 46

يأتي هذا الكتاب في نهاية التسعينيات بعد أن صارت السرديات إلى رسوخ في النقد المغربي وبعد أن أصبحت مقولاتها شائعة بين الدارسين على المستويين النظري والتطبيقي.

في المقدمة يعلن مرتاض أن ما حمله على تأليف كتاب في تقنيات الرواية هي تلك الحيرة التي تنتابه حينما يطرح أسئلة تتعلق بماهية الرواية وعالمها وتقنياتها وجمالياتها وآليات كتابتها وقراءتها، وهي الحيرة التي دفعته إلى سلوك مسلك خاص، عبر عنه دون موارد بما يلي: «وكلما طرحنا سؤالا منهجيا، أو معرفيا، أو إجرائيا، أو جماليا، أو تقنيا، أو فنيا...، حاولنا أن نظفر به بالإجابة عنه في قراءة المظان المختصة، وهي في جمهورها أجنبية» 47.

لكنه سرعان ما يعود فيبين عن دافع آخر حدا به إلى تأليف كتابه، وقد صاغه بشكل يقربه من التسويغ والتبرير أكثر من أي شيء آخر حين قال: «ثم لما رأينا أن الكتابات العربية التي كتبت حول نظرية السرد بعمامة ونظرية الرواية بخاصة، تحتاج إلى اعتناء وبلورة، وخصوصا فيما يتمحض للتقنيات الخالصة التي تكتب بها الرواية، رأينا أن نتكاف تببيض محتويات تلك الطوامير...» 48

وقد وزع مرتاض عمله على تسع مقالات، يفترض أن تختص كل واحدة بجانب من جوانبها، فكانت الأولى عن الرواية: الماهية والنشأة، وعرضت الثانية

لأسس البناء السردى في الرواية الجديدة، وكانت الشخصية وماهيتها وبنائها وإشكالياتها هي مدار المقالة الثالثة، بينما عني في المقالتين الرابعة والخامسة على التوالي بمستويات اللغة الروائية وأشكالها وبالحيز الروائي وأشكاله.

وتشترك هذه المقالات الخمس الأولى في نهجها منهجا وصفيا يهدف إلى تناول الرواية جنسا أدبيا، وكذا في العلاقات المتعددة التي تقيمها مع الأجناس الأدبية الأخرى عند الغربيين لينعطف إلى البحث في المصطلح وما يحيل عليه في اللغة العربية في محاولة تأصيلية عابرة، ليعتمد بعد ذلك إلى ربط الرواية بالتاريخ والمجتمع، ليعود إلى الحديث عن بنيتها وتطورها، وتحديدًا إلى ما عرف بالرواية الجديدة عند الغربيين وخاصة في فرنسا.

أما في المقالة التي خصصها للشخصية: "الماهية/البناء/الإشكالية" فقد مضى يسوق الأمثلة عن أنواع من الشخصيات استقاها من روايات غربية شهيرة وبطيل الوقوف عند علاقة الشخصية بالضمائر فيعرض لبعض آراء كايزر⁴⁹، وميشال زيرافا، وتودوروف وديكرو Ducrot، كما أولى عناية خاصة في المقالة الرابعة الموسومة بـ "مستويات اللغة الروائية وأشكالها" إلى بيان دور اللغة ومنزلتها في حياتنا وفي الأدب، وأثر اللغة وعلاقتها بالفلسفة والسيميائية، لينبri إلى شن حملة شعواء على الروائيين العرب الذين "جاءوا إلى العامية، ثم شرعوا يغترفون منها دون تحفظ، ولا حس لغوي لطيف، ولا إشفاق ولا ارعواء، وكأن هذه العربية ملك مشاع لهم وحدهم...»⁵⁰ وفي الآن ذاته يقف في مراقبة مطولة عن الفصحى لا تتقصها الحماسة ولا تعوزها الفصاحة، ثم يفرد بعد ذلك المقالة الخامسة للحيز الروائي فيصول فيها صولته المعهودة من تمثيل لمصطلح الحيز ولمظاهره من الأعمال الروائية الغربية ثم بحث عن ورود هذا المصطلح نظريا في الدراسات الروائية العربية.

وهكذا لم نكد نقف في هذه المقالات الخمس على ما يدل على إفادة من السرديات أو تلقى لمناهجها أو اتكاء على بعض مقولاتها النظرية أو آلياتها الإجرائية، بل إننا أفيناه على نقيض ذلك، يجاور ما لا يتجاور من المناهج، ويساكن ما لا يتساكن من الاتجاهات، فلم يستقر بذلك على منهج محدد، ولم يركن إلى نظرية بعينها.

وإذا ما تصفحنا ما يوظف من مصطلحات، وجدنا أن ما يكتنفها من غرابة يدعو إلى التساؤل: ما الذي دفع مرتاض إلى تجاهل المصطلحات التي شاع استعمالها وجعله ينحت مصطلحات مغايرة لما درج الدارسون على التعامل معه، فقد اقترح مصطلح "سردانية" للإحالة على *narratologie*، ومصطلح "سرديات" للإحالة على *récits*، وهو بهذا يذهب بعيدا عن كل ما وضع في هذا الشأن، ويختط لنفسه طريقا منافرا، غير آبه بالجهود التي أنفقها الدارسون العرب في سعيهم إلى توحيد المصطلحات واستقرارها.

وإذن، مادام مرتاض لا يهتم بالسرديات بوصفها علما للسرد، فلا يشير إلى إنجازاتها إلا لمأما، ولا يحتفي بمقولاتها إلا ما كان من إحالات عابرة، فما الذي دعانا إلى إدراجه في المدونة؟

ونجيب بأن ما حملنا على ذلك هو وجود نتف في بقية المقالات تفيد أن ثمة تعامل مع السرديات، حتى وإن كان مشوبا بنزعة تجزيئية استحالت معها الدراسة شتاتا مضطربا، ففي المقالة الثامنة مثلا، وفي أثناء بسطه لشبكة العلاقات السردية، عرض مرتاض للعلاقة التي تتعقد بين السارد والمؤلف والقارئ ملقيا الضوء على آراء كل من "جينيت" و"تودوروف" و"واين بوث" وغيرهم ممن وصفهم بمنظري الرواية الغربيين، لكن أعلق قسم بالسرديات هو ذلك الذي وضع له عنوانا في شكل سؤال هو "هل من تقنين لشبكة السرد؟" 51

عمد مرتاض في هذا القسم إلى إبداء ملاحظاته حول شبكة المصطلحات والمفاهيم من مثل (السرد والمسرود، والمسرود له، والسردانية، والسرديات...) وهي - حسب رأيه - تمثل إشكالية شديدة التعقيد بالنظر إلى تداخلها، وتمايزها، وتناقضها أحيانا، وقد اختار أن يثبت هذا الرأي بقراءة سريعة لعمل جريماس الذي ينزله ضمن السردانية *narratologie* فيسم بالغموض وبالإبهام اللغة التي اصطنعها في نص قصير له ينظر به للسردانية، وقد أخذ مرتاض هذا النص من المعجم المعقلن الذي ألفه كل من جريماس وكورتيس، وبالرجوع إلى الصفحة التي أشار إليها في الهامش وجدنا أن المؤلفين لم يقصدا بهذا النص التتظير للسردانية، كما يرى، وإنما تحديد المسار السردى *le parcours narratif* 52. وسعيا إلى إجلاء الرؤية أكثر، نفضل إيراد هذا النص القصير:

«Nous nous trouvons ainsi en présence d'une hiérarchie syntaxique où à chaque unité correspond un type actanciel défini. Les actants syntaxiques stricto sensu; sont des constituants des programmes narratifs. Les rôles actanciels sont calculables à l'intérieur des parcours narratifs, alors que les actants fonctionnels relèvent du schéma narratif d'ensemble»

وقد تولى مرتاض ترجمة هذا النص من المعجم على النحو التالي: «أمام تراتبية تراكبية حيث كل وحدة تقابل صنفا عامليا محددًا، فالعاملات التراكبية، بالمعنى الدقيق، هي مشكلات البرامج السردية والأدوار العاملاتية هي القابلة للحساب داخل المسار السردى، على حين أن العاملات الوظيفية تتمحض للرسم السردية في المجموع» 53.

ثم انبرى للتعليق على ما ورد فيه، موجهًا نقده لجر يماس (دون كورتيس) مركزا على الدلالة اللغوية لكلمة تراتبية محيلا على أصلها الإغريقي، وقد أوغل مرتاض في التفاصيل المحيطة باستعمال الكلمة في أصلها، وفي ترجمتها إلى العربية إيغالا

جعله ينصرف عن الخوض في المفاهيم، والانعطاف إلى طرح الأسئلة التي تنشي بالتجاهل من مثل: «...ثم هل الترجمة العربية التي تجعل "العامل" مقابلا لمصطلح actant ترجمة سليمة حقا؟ وأنها تعني في العربية معنى ما حقا؟ ثم ما الرسمة السردية؟ (Le schéma narratif)؟ وهل تعني شيئا حقا في نظرية السرد بحيث إذا تعاملنا معها استطعنا أن نحلل النص السردى بكفاءة وفعالية؟ ثم ما البرامج السردية (des programmes narratif)؟ التي لعلها أن تتجسد في سلسلة من المفاهيم المعقدة التي يحيل بعضها على بعض، ويتوالج بعضها مع بعض إلى درجة التيه والحيرة...» 54

وما يثير الغرابة أن مرتاضا ترك البحث في أمر هذه المعاني المستغلقة جميعها باستثناء البرنامج السردى الذي رجع في تحديده له إلى المعجم المعقلن ثانية، ليمر من ذلك إلى إظهار مواطن القصور في عمل جريماس واصفا إياه بغير المجدي، وبالمفضي إلى تعقيد الكتابة السردية، وبالحاشد لكم هائل من المصطلحات التي تدل في أغلب الأحيان على التقعر والإخفاق.

كان من الممكن أن نقبل نقد مرتاض لو حصنه بقراءة ما أنجزه جريماس من دراسات، وكان بالوسع أن نقنع بوجاهة اعتراضه على المفاهيم التي صاغها جريماس، وعلى المصطلحات التي وضعها لو عضد ذلك بتحليل موضوعي علمي بعيد عن الأحكام غير المبررة، والواقعة في إيسار نظرية تقليدية ترى "من المحال على مفكر لغوي أن يكون ناقدا، محلا للنص، ومنظرا له أيضا من الطراز الأول وفي المستوى الذي يكونه بالقياس إلى منزلته في اللغة» 55.

إن تطلع مرتاض لنقد المنجز الغربى الفرنسى وغربلته خاصة في مجال السرديات ظاهر بين، ومعرفته للأصول أكيدة لا تتزعزع، لكن الذي يحد من ذاك التطلع ويضلل من فاعلية تلك المعرفة، انشغال مرتاض بالبحث في جانبين ميزا دراسة جريماس:

-أولهما، السعي إلى علمنة 56 أو مكننة 57 الكتابة السردية، وهو في رأيه سعي محكوم عليه بالفشل وعدم الإثمار، ذلك أن الرواية تقوم على التحول وعلى ثبات بنيتها، ولذلك "فالذي يضعف من قيمة جهد "جریماس" هو أن البنية الروائية مترججة معتادة على التنظيم الصارم، لعل واحدة ولكنها جوهريّة، وهي أن الكتابة الروائية إبداع مفتوح" 58 ويتجاوز مرتاض هذا الحد ليذهب بعيدا مقررًا أمرًا يتطلب غير قليل من الدقة والتعمق والتمحيص والتروي حين يقول: "إنه من العسير محاولة وضع نظرية لعمل يعتاص على التنظير. إن الخيال طليق، وإن الإبداع سمته الأولى حرية، وإن وظيفته الجمال وإن غايته الابتكار، فكيف يجوز تقييد حرية يجب أن تظل طليقة، ووظيفة يجب أن تظل دون حدود..." 59

وثانيهما، نفي صفة النقد الأدبي عن "جریماس" الذي يفنقر - في رأي مرتاض - إلى ما ينبغي أن ينجح مهمته في التعامل مع الأدب من طول مراس وحسن التدقيق للنص الأدبي، ولذلك فهو لا يني يعرض بقصوره، وكل الأسباب ترتد في مجموعها إلى أن "جریماس" عالم لسانياتي، فهو منظر لغوي... (ولذلك) فهو حين يتحدث عن الأدب تعثر به القدم، ويضطرب له الطريق، فلا يعرف المستوى الذي يعرفه حين يتحدث عن شؤون اللغة واللسان" 60. وغير خاف على المتتبع ما في هذه الآراء المرتاضية من غمط للحق، ومجافاة للمنطق، ولعل أظهر دليل نقيمه على ذلك هو عدم استناده في آرائه إلى أعمال "جریماس" التي لم يحل منها إلا على كتاب "الدلالة البنوية" في إشارة سريعة موجزة سبقت على النحو التالي (كتابه: الدلالة البنوية) كان هذا خاصا بما هو موصول بالحكم على عمل "جریماس"، أما فيما يتعلق بإضفاء صفة العالم اللسانياتي والمنظر اللغوي على "جریماس"، وتجريده في المقابل من صفة الناقد الأدبي، والمحلل النصاني، فلا يعدو أن يكون رأيا شخصيا صادرا عن فكرة خاصة لم يستطع مرتاض أن يقيم دليلا منطقيًا على صوابها.

أما ما أنصف فيه مرتاض، فهو اعتراضه على التعميم الذي سعى "جريماس" إلى إحلاله في بنية الرواية، ذلك أن ما يصلح في التعامل مع بنية الحكاية الخرافية "Le conte merveilleux" ذات الطبيعة الثابتة لا ينسحب على الرواية النازعة دوماً إلى التحول والتغير.

وهكذا بدا مرتاض، فيما يتصل بعمل "جريماس" مولعاً بالنقد، مهتماً برصد مواطن القصور، مستعلياً عن إيراد ما يدعم مذهبه في النقد، غير آبه بما يمكن أن تثيره آراؤه من إشكالات وتساؤلات عن مدى صحتها ووجاهتها، وهو السمت ذاته الذي انتهجه في التعليق على أعمال جينيت، فهو يستهل كلامه عنه بقوله:

«... وربما يكون تودوروف أعرف من غريماس بالسرديات لدى حديثه عنها في أكثر من موقع ... لكن جيرار جينيت قد يكون أبرع منهما معا في تحليل الأعمال السردية ومحاولة مقاربتها بالتنظير، وسيظل جهد هذا الرجل في مجال السرديات، متداولاً بين الناس زمناً طويلاً...» 61

من البين هنا، أن مرتاضاً راض عن عمل جينيت كما صرح، لكن هذا الرضى كان قد انبنى على ما يبدو انطلاقاً من المقالة التي صدرت لجينيت في العدد الثامن من مجلة تواصل بعنوان "حدود العمل السردى" frontières du récit ونلاحظ في هذا الموضوع عدم استقرار مرتاض على المصطلح المقابل لـ récit فهو حيناً يوظفه مترجماً إلى سرديات، وإلى العمل السردى حيناً آخر، ولذلك لا يمكننا الجزم بأن ما يقصده من مصطلح السرديات في الفقرة السابقة، هو ما يقابل علم السرد narratologie خاصة وأن السياق يحيل على ذلك، أو أنه يقابل مصطلح محكيّات récits، وقد استعمله في أكثر من موضع في الكتاب بهذا المعنى.

ومن مقالة frontières du récit أراد مرتاض أن يستبين معالم "العمل السردى" le récit فأدرج تعريف جينيت له بأنه "عرض لحدث أو سلسلة من الأحداث، واقعية أو خيالية، بواسطة اللغة، وبخاصة اللغة المكتوبة". 62 ثم أظهر

اعتراضه عليه، واصفا إياه بأنه "ليس مانعا جامعا، ولا دقيقا لطيفا، بل لعل الضعف أن يأتيه من بين يديه ومن خلفه، وذلك على الرغم من أنه يزعم أنه يمكننا تعريف العمل السردى دون أي صعوبة".⁶³

وللأمانة ينبغي أن نبادر بإضاءة الموقف فنعود إلى مقالة جينيت المشار إليها حيث نلفيه يورد هذا التعريف مشروطا، وموضوعا في صيغة الافتراض لا في التسليم به، مدرجا بغرض المناقشة والإثراء مفتوحا على التساؤل والاستفهام، قابلا للنقد والتعديل وإلا، كيف نفهم قوله: "ولا يعني هذا بأي وجه من الوجوه تبرئة ذاك التحديد، وهذا الطرح من الشوائب في مجال معتمل بالعديد من الإشكالات". لكن ما أكب مرتاض على العناية به لا ينهض على الإلمام بما خطه جينيت في نصه وإنما يمضي إلى طي بعض التفاصيل، واختزال أخرى، فقد اكتفى بإثارة النقاش في ثلاثة جوانب حملها "التعريف"، يتصل الأول بالأحداث التي قاربها مرتاض في بعدها التاريخي، وهو بهذا يخوض في مسألة التمييز بين السرد التخيلي والسرد الواقعي، ومدى انضواء الثاني تحت لواء "الحكي" وقد أدرك مرتاض أن ما يثيره عصي على التصنيف والتحديد، وعلى البت القاطع، فأثر طرح الأسئلة القلقة الحيرى، فلم نظفر منه برأي حاسم إلا ما كان من قناعته بأننا "إذا أدرجنا السرد التاريخي، فإن اللعبة حينئذ تستغير قواعدها وتختلف ضوابطها".⁶⁴

وليس في وكدنا في هذا المقام أن نستعرض الآراء المختلفة والمؤتلفة حول هذا الجانب، ولكننا نرى أنه من المنهجي الإشارة إلى أن مثل هذا الطرح يقتضي تدبرا في مبحث الأجناس الأدبية وتدرعا بالمفاهيم النقدية للسرديات لما لهاتين الآليتين من فاعلية في التمييز بين الأنواع التي يكون للسرد حضور مهيم فيها، وبين الطرائق التي تتم مقاربتها بها.

أما الاعتراض الثاني الذي أبداه مرتاض على ما ورد في التعريف الذي صاغه جينيت، فمتعلق بتخصيص الحديث عن الحكي على اللغة المكتوبة مدعما اعتراضه

بكون أصل الحكى في جميع آداب الشعوب منذ الأعصار الموعلة في القدم [كانت تنهض] على اللغة الشفوية.⁶⁵

ولا نروم في هذا الموضوع أن نقلل من شأن هذه الملاحظة بقدر ما نود أن ندقق ونتقصى لإحقاق ما ينبغي إحقاقه، فجينيت جعل اللغة وسيطا عاما للمحكي، ثم خص اللغة المكتوبة بشيء من التركيز بعد أن أطر الأمر ضمن "التعبير الأدبي".

ويجرنا الحديث عن اللغة إلى الاعتراض الثالث الذي ساقه مرتاض، حيث أكد على عنصر من "بين عناصر كثيرة تتضافر وتتناظر، وتتكاتف وتتآلف، من أجل أن تتجز عملا سرديا كاملا"⁶⁶ ولهذا استغرب قصر جينيت تعريف العمل السردى على عنصرى اللغة والحدث.

وهنا أيضا لا يمكن لأحد ألا يشاطر مرتاضا فيما أكده، ولكن في المقابل لا أحد يساوره أدنى شك في أن جينيت لم يكن غافلا، وهو يستعمل الدال "حدث" عن المدلولات التي يحيل عليها كارتباط الحدث عادة بالزمن والمكان، واستحالة حصوله خارجهما، وافترض تعالق الحدث بشخصية أو بعدة شخصيات، كما أن وجود هذه العناصر مجتمعة لإنجاز عمل سردي يستلزم آليا وجود سارد ينهض بمهمة سرد هذا الحدث عن طريق ما تصنعه اللغة.

• ولم يشأ مرتاض أن ينهي نقده واعتراضه على آراء رواد السرديات دون أن ينعطف على إنجاز بارت في هذا المجال محددا في مقالته "مدخل إلى التحليل البنيوي للمحكي"، ولقد انكب على ترجمة الفقرة التي استهل بها مقالته، وهي التي تتضمن التمثيلات التي يمكن أن يأخذها السرد، وما يلفت الانتباه في هذه الترجمة هو استحداث مرتاض بعض المصطلحات مثل: "الأحداث" لترجمة l'histoire و"المهذاة" لترجمة la fable والمشجاة لترجمة la tragédie، وهو بهذا يضرب صفحا عما استقر في المصطلحية العربية التي حصل فيها شبه إجماع على أن تترجم

l'histoire'بالقصة أو الحكاية وتترجم la fable بالحكاية العجيبة أو الحكاية الخرافية وتترجم la tragedie بالمأساة أو التراجيديا.

ولئن كان "بارت" قد جعل تلك المقدمة الاستهلاكية سبيلا للخلوص إلى السرد الأدبي المتوسل للغة، فقد ذكر مرتاض أشكالا عديدة عرفها السرد العربي ليحيل منها على دور الفنون السردية في تطور الثقافة، وعلى مكانتها في الذاكرة الجماعية، وعلى أثرها في الدلالة على ثقافة شعب من الشعوب، ولأجل ذلك نظر إلى "السردانية" من زوايا كونها "تركح على السرد، والسرد يجسده العمل السردى، والعمل السردى يركح على الذاكرة الشفوية، والذاكرة الشفوية تركح على الذاكرة الجماعية، والذاكرة الجماعية تجسد ذهنية شعب من الشعوب بامتياز".⁶⁷

ولا يمكن أن يغيب عن أذهاننا أن السرديات أو السردانية -كما يعبر عنها هو- تتنكب عن الخوض في هذا الجانب الذي يكون أقرب إلى الدراسات الأنثروبولوجية منه إلى هذا المجال.

أما فيما يرتبط بقضية التمييز بين المؤلف والسارد، فقد التزم فيها مرتاض سبيل مناقشة آراء كل من كايزر وقد عرب اسمه بـ "قيصر"، وتودوروف، وجينيت، وبارت، فأبدى عدم موافقته على تمييز كايزر بين السارد والمؤلف لأن ذلك يتناقض مع المنطق، فهما "كائنان اثنان لا يلتقيان، أحدهما كائن إنساني. وأحدهما الآخر مجرد كائن ورقي.... والأمر لدينا أن السارد ينصرف دوره خصوصا إلى المحكيات الشفوية...".⁶⁸

ويعضد ما ذهب إليه بتحديد دور كل من المؤلف والسارد ووظيفتهما، فالمؤلف "هو الذي يسوق الحكاية، ويلفق أحداثها، ويبني كيائها، ويحبك خيوطها، ويرسم ملامح شخصياتها، وينسج لغتها، ويضع أحيازاها، لا أحد غيره، ولا غيره أحد يشترك معه في العمل السردى الذي كتبه - ليكون العمل الروائي هنا - وألفه والذي سجله بالقلم على القرطاس للمتلقين"⁶⁹

إن تصريح مرتاض هذا يجعلنا نتساءل: عن أي موقف نقدي صدر؟ وأي اتجاه يتبنى؟ وما الغاية التي يرومها من حملته على استحداث مقام "السارد" في نظريات السرد المعاصرة؟ وعلام أسس وصفه "للسارد" بالشيء "الوهمي العبثي"، ويختلف لأجل ذلك مع كايزر «في جعله السارد شخصية خالية يندس من خلالها المؤلف». 70 والتدبر فيما تدرع به مرتاض من تعليقات وتفسيرات لا يفي بغرض الإجابة، فهو يتكئ على مسألة التمييز بين شفوية السرد وكتابته، فالسارد عنده هو ذلك الكائن الحي الذي يروي أخبارا، أو يسرد حكايات باعتماد المشافهة، والمؤلف كائن مادي أيضا، يوقع العمل السردى باسمه، وهو من يكتبه، ويدفع به إلى الطباعة ليقرأ. وغير خاف ما في هذا الرأي من دلالة على الاكتفاء بالمناقشة العامة المبسطة والسطحية، فمرتاض لم يتعمق الدرس السردى، أو بالأصح لم يشأ أن يتعمقه، فهو ينكر على النقاد الجدد إلغاءهم مقام المؤلف "بعُدوانية عابثة"، ويتصدى لكل من يسعى إلى إحلال السارد محله، والإخلال بمبادئ العقل والمنطق، ولذلك نلفيه يتفرس في آراء أولئك النقاد الجدد، فيعرج أولا على تودوروف وديكرو اللذين يدعوان إلى وجوب التسليم بوجود مؤلف ضمني *Auteur implicite* في النص فيستغرب دعوتهما ويصفها بالعبثية والهوس، ولكنه لا يقيم دليلا على بطلان زعمهما إلا ما كان قد ذكره في رده على كايزر "من ارتباط "السارد" بما هو شفوي وارتباط المؤلف بما هو مكتوب، ويمعن في تأكيد رأيه إمعانا يجره إلى دعوة المنظرين في هذا المجال إلى التدقيق فيقول: «وعلى منظر الرواية، والسردانية بعامه، أن يدقق في مثل هذه العلاقات والتفاريق وإلا اختلط الحابل بالنابل، وأمسينا لا أحد يفهم الآخر». 71

ومضى مرتاض في تسفيه آراء تودوروف ووصفها بـ "البلاء المبين"، خاصة لما عرض لمسألة القارئ الضمني *le lecteur implicite*، فرد الأمر كله إلى مغالطة اغتيال الناص، وما ترتب عنها من لبس، فقد قتل تودوروف المؤلف، ثم أقام

مقامه عنصرًا وهميًا وهو المؤلف الضمني «ليوقع شهادة وفاة المؤلف وليدفع بالتاريخ إلى المزبلة، وليرمي بالإنسان إلى العدم». 72

ومن تودوروف ينتقل مرتاض إلى رأي جينيت في هذا الجانب، فيشير إلى شيء من التقارب الحاصل بينهما على الرغم من اصطناع جينيت تقنية "المؤلف/ السارد"، ذلك أن فكر جينيت لا يقوم على التطرف في إقصاء المؤلف، بل إنه على العكس من ذلك يعترف بالمؤلف علانية، وأنه هو الذي يتولى شؤون نصه. 73 ومن هنا لم ير مرتاض بأسًا في استعمال السارد مرادفًا للمؤلف.

وأما رأي بارت فقد عرضه مرتاض بشيء من الحذر، و بشيء من الإعجاب أيضًا، وانطلق في ذلك من المقالة الشهيرة حيث صرح أنها "ما دامت تدور من حول السردانية فإنه من الأليق أن نعرج عليها، لنقرأ فقرة منها، وهي: "مدخل إلى التحليل البنوي للسرديات". 74

في البدء أثر مرتاض أن يقدم التصورات الثلاثة * التي توطر النظرة المتداولة لحد الآن إلى من ينشئ العمل السردى، فأنكر على بارت رفضه لها جميعًا، ورمى عمله بالعبثية والخلط، ودافع بشراسة أكبر عن المؤلف، كما عاب عليه قصور نظريته إلى القارئ الذي يجعله بارت طرفًا في عملية البث السردى، ومكونًا من مكونات العمل السردى لا ينفصل عنه، وحجة مرتاض في ذلك مؤسسة على إمكان عدم حدوث القراءة لأن "العمل السردى الذي ينشئه الكاتب، أو يكتبه المؤلف، يظل قائمًا بمعزل عن قراءته، وذلك على الرغم من أننا نربط الكتابة بالقراءة ربطًا حميمًا، لكن بالقياس إلى المؤلف نفسه الذي يقرأ مخيلته فيستخرج منها ما هو فيها بالكتابة..» 75 وبعد عرضنا لجملة المآخذ التي سجلها مرتاض على بارت وأصحابه من رواد السرديات لنا أن نتساءل: ما الغاية من وراء هذا النقد الذي لم يقترن باقتراح أو يشفع

ببديل؟ وهل يمكن لمثل هذا الإنكار، وذلك الرفض أن ينهضا بفعل تأصيلي للمحكي
عموما، وللرواية خصوصا؟
هذا هو تساؤلنا، وليس بوسع أحد الإجابة في هذا الموضوع، ما لم تستكمل دراسة كل
المعالم النظرية والإجرائية لهذا الفعل.

خاتمة:

أظهرت قراءة هذه النصوص تفاوتاً واضحاً بين الدارسين في عنايتهم بعروضهم النظرية، وهو تفاوت قد يجد تفسيره في المعطى التاريخي، فالمقاربات النظرية التي مثلت البدايات كشفت عن تداخل في المفاهيم، ولبس في عرض النظريات، وحرص باد على النظري بالإجرائي، وضم على سبيل التكامل ما هو صيغي شكلي في السرديات إلى ما هو سيميائي سردي.

جمع هؤلاء الدارسون بين عمل بروب وبعض الشكلانيين الروس وعمل جريماس ومدرسته دون تفريق بينهما أو تحديد للأطر التي تضبط علاقة أحدهما بالآخر. وهذا السبب يمكننا القول إنه من الطبيعي أن تتسم مرحلة البدايات بهذه السمات، لكن الذي لا يبدو مستساغاً هو أن يظل الأمر على ما هو عليه، ولهذا دأب الدارسون على تجلية الرؤية أكثر بالعكوف على المادة النظرية بحثاً وتقصياً فنفضوا إلى أصولها ووقفوا على روافدها واتجاهاتها وفروعها، وتناولوها بالدرس المفصل الدقيق، وأحاطوا ببعض مظاهر القصور فيها، ومواطن الخلل فدلوا عليها وأبرزوها، وهم يذهبون في ذلك مذاهب شتى تشف عن تباين في المقاصد بين من يتغيا عرض النظرية وإشاعتها، وحصول المعرفة وتعميمها للإفادة منها، سواء أعلق الأمر بإجرائها على النصوص السردية العربية أو بإدراجها ضمن الجهود الرامية إلى تأسيس نظرية عربية في هذا المجال.

وأظهر ما طالعنا فيما تناولناه:

- نزوع أغلب الدارسين إما إلى نفي وجود دراسات سابقة أو مترامنة مع دراساتهم، أو التقليل من أهمية ما ورد فيها، وهو الملمح الذي يطمح جل الدراسات المنضوية تحت مظلة النقد غالباً، مما يقود إلى تشتيت الجهود وضياعتها، وانفصام عرى التواصل الفكري والنقدي، ولا يفضي في نهاية المطاف إلى استقامة شأن تأسيس نظرية في أي مجال ما دامت شروط التأسيس غائبة، فلا مراكمة معرفية على الرغم

من الوعي الواضح والتمثل البين، ولا تضافر جهود على الرغم من كثرتها، ولا توحيد أهداف على الرغم من تشابهها وتكاملها.

- تتافر واضح في الجانب الاصطلاحي ولعل فيما ذكرناه أنفا ما يفسر هذا الأمر، ويغني عن الإفاضة فيه.

وفي المقابل، رأينا أنه من الإنصاف الإشارة إلى جملة من القضايا التي لاحظنا في أثناء قراءتنا هذه النصوص النقدية مثل:

- تمثل للسرديات واضح وتعمق في استيعابها دقيق، خاصة بعد أن وجدت لها محلا في الدرس النقدي العربي.

- رغبة أكيدة في وضع هذه المفاهيم والطرائق والآليات موضع الاختبار بإجرائها ولو بشكل عام على النصوص السردية العربية، وإن لم يستقم أمر الإجراء فإن إبداء الرأي في بعض مقولاتها وانتقاد بعض مفاهيمها يؤكد بما لا يقبل الشك قدرة الدارس العربي على التفاعل الواعي والمتميز.

الهوامش:

1- عبد الفتاح كيليطو: الأدب والغربة، دار الطليعة، بيروت، 1982.

2- المرجع نفسه، ص 29.

3- م، ن، ص 30.

4- م، ن، ص 33.

5- م، ن، ص 33.

6- م، ن، ص 34.

7- م، ن، ص 35.

8- م، ن، ص 35.

9- م، ن، ص 35.

10- م، ن، ص 36.

* حينما يتعلق الأمر بما هو شعبي يستعمل كيليطو مصطلح "قصة شعبية"

** كان قد وظف مصطلح الراوي في الكتاب نفسه للدلالة إما على رواية الأحداث

ونقل الأخبار في مقامات الهمداني، أو نقل الأحاديث النبوية ص 25 إلى ص 28.

11- عبد الفتاح كيليطو، الأدب والغربة، ص 32.

12- المرجع نفسه، ص 32.

13- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية، نظرية قريماص، الدار العربية

للكتاب، تونس، 1992.

14- المرجع نفسه، ص 7.

*** اهتمت الدراسات بالمستويين النظري والتطبيقي، فقدمت النظرية وحللت في

ضوئها: سيميائية النص الأدبي لأنور المرتجى، والتحليل السيميائي، أبعاده وأدواته

لمحمد مفتاح، وبنية النص السردية لحميد لحميداني، وغيرها.

15- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية، ص 15.

16- المرجع نفسه، ص7.

17- م. ن، ص8.

18- م. ن، ص11.

19- م. ن، ص15.

20- م. ن، ص. ن.

21- م. ن، ص17.

22- م. ن، ص. ن.

23- م. ن، ص. ن.

****في كتابه *sémantique structurale* يضع جريماس عنوانا فرعيا لكتابه هو "بحث عن المنهج"، وفي "المعجم المعقلن" يحدد المنهج بأنه متتالية من العمليات الهادفة إلى بلوغ نتائج تتطابق مع مقتضيات النظرية (ص 22) أما النظرية فتحد في المعجم المذكور بأنها "مجموعة منسجمة من الافتراضات والاطروحات القابلة لأن تكون موضع مراجعة. (ص 394)

24- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردى، ص21.

25- A.J.Greimas, J.C.Courtés, *Dictionnaire raisonné des sciences de langage*, Maison Hachette, Paris, 1979, p225, 226.

*****- في كتابه *Sémantique structurale* خصص جريماس الصفحات الأولى للتعريف بالدلالات وعلاقتها باللسانيات، وغيرها من العلوم، وظروف نشأتها وموضوعاتها، والصعوبات التي تعترضها... (من ص 15- ص 17)

26- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردى، ص 29.

27- المرجع نفسه، ص30.

28- م. ن، ص37.

29- م. ن، ص38.

30- م. ن، ص. ن.

31- م. ن، ص 44.

*****- يقصر العجيمي تأليف الكتاب على "سمير المرزوقي"، وقد ورد ذلك في أكثر من موضع.

*****- نذكر منها - قاموس اللسانيات لعبد السلام المسدي، 1984.

- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة لسعيد علوش 1985.

*****- تذهب أغلب الترجمات إلى استعمال مصطلح ذات في مقابل sujet والمحايث في مقابل immanent والمتعالي في مقابل transcendant والهيئة في مقابل instance وغيرها من المصطلحات.

32- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردى، ص 71.

33- م. ن، ص، ن.

A.J.Greimas, J.C.Courtés, Dictionnaire raisonné, p247-34

35- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردى، ص 35.

36- م. ن، ص 11.

37- A.J.Greimas, actants, acteurs et figures, in sémiotique narrative et textuelle, Larousse, Paris 1973, 176.

38- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردى، ص 82.

39- م. ن، ص 87.

40- م. ن، ص 93.

41- م. ن، ص 103.

42- م. ن، ص 106.

43- م. ن، ص 17.

44- م. ن، ص 106.

- 45- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، عدد 240، الكويت، 1998.
- 46- م. ن، ص 7.
- 47- م. ن، ص 8.
- 48- م. ن، ص 121.
- 49- م. ن، ص 121.
- 50- م. ن، ص 246.
- 51- م. ن، ص 243.
- 52- م. ن، ص 246.
- 53- م. ن، ص. ن.
- 54- م. ن، ص 249.
- 55- م. ن، ص. ن.
- 56- م. ن، ص. ن.
- 57- م. ن، ص 250.
- 58- م. ن، ص 251.
- 59- م. ن، ص 248.
- 60- م. ن، ص 252.
- 61- م. ن، ص. ن.
- 62- م. ن، ص. ن.
- 63- م. ن، ص 253.
- 64- م. ن، ص. ن.
- 65- م. ن، ص 254.
- 66- م. ن، ص 275.

67- م. ن، ص 260.

68- م. ن، ص 261.

69- م. ن، ص 263.

70- م. ن، ص 268.

71- م. ن، ص 272.

72- م. ن، ص 273.

73- م. ن، ص 274.

74- م. ن، ص 282.